تقديم

بقلم د. محمود أحمد غازي

بسم الله الرحمن الرحيم

إن من فضل الله ونعمه على أهل الإسلام في شبه القارة الهندية أنهم رفعوا راية الحديث الشريف وعلوم النبوة في عصر لم يكن فيه كبير اهتمام بهذا العلم الشريف في كثير من البلاد الإسلامية، بل كان يبدو كأن الاشتغال بعلوم الحديث بدأ يتراجع، وأصبحت سوقها كاسدة حتى في عواصم الحضارة الإسلامية الكبرى التي تلألأت منها أشعة علوم الحديث لقرون طويلة.

وكان الفضل في هذا الفجر الجديد في تاريخ علوم الحديث في شبه القارة يرجع إلى الإمام المحدث أحمد بن عبد الرحيم المعروف في الآفاق بشاه ولي الله الدهلوي، الذي يستحق أن يلقب بأمير المؤمنين في الحديث في شبه القارة، فقام الإمام الدهلوي بنشر الثقافة الحديثية في شبه القارة درساً وتأليفاً لمدة تزيد أكثر من ثلث قرن.

ثم رفع هذا اللواء أبناؤه وأحفاده العباقرة الذين كانوا أئمة الهدى ومصابيح الدجى طيلة القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجري.

وكل من اعتنى بعلوم الحديث درساً وتأليفاً وروايةً وشرحاً من علماء جنوب آسيا، مدين للإمام الدهلوي وأبنائه وأحفاده وتلامذتهم.

وانتشر العلماء المحدثون المنتسبون إلى هذه السلسلة الذهبية في أنحاء شبه القارة شرقاً وغرباً، شمالًا وجنوباً، وإلى أفغانستان وآسيا الوسطى ومناطق إيران وإلى بلاد الشرق البعيد، ونشروا علوم الحديث وأنوار المعارف النبوية في كل هذه المناطق.

ولم يمض قرن على وفاة الإمام الدهلوي في سنة ١١٧٧هـ حتى تمكن خلفاؤه والعلماء المنتسبون إليه من تأسيس مؤسسات وجامعات ومراكز لنشر رسالته وعلومه ومعارفه. فبدأت في عاصمة دلهي مراكز متعددة على أيدي هؤلاء المحدثين الذين يجدر بالذكر منهم الإمام المحدث عبد الغني الدهلوي، والإمام المحدث رشيد الدين، والإمام المحدث نذير حسين الدهلوي وغيرهم من الذين عكفوا على خدمة علوم الحديث، ووقفوا حياتهم وضحّوا بأنفسهم ونفيسهم في سبيل نشر المعارف النبوية.

وكان من هؤلاء الجهابذة الذين ظهروا في القرن الرابع عشر الهجري: المحدِّث الكبير، إمام عصره، **الشيخ محمد أنور شاه الكشميري** (المتوفى سنة ١٣٥٢هـ)، الذي عكف على خدمة علوم الحديث ابتداءً من ريعان شبابه إلى أن وافاه الأجل المحتوم وهو في بداية العقد السادس من عمره.

فدرَّس كتب الحديث الستة لآلاف من الطلبة الذين كانوا يحضرون دروسه من أنحاء شبه القارة وأفغانستان.

وكان الإمام الكشميري فاق أقرانه ومعاصريه في تعمقه في علوم الحديث وسبقهم إلى وضع منهج بديع في تدريس كتب الحديث، فلم يكن يدرس الحديث النبوي كمادة من مواد الدراسة الشرعية، بل كان يدرِّسه أساساً لعلوم الشريعة كلها.

كان يحاول التنسيق والتطبيق بين علوم القرآن والحديث، وبين علوم الفقه ومباحث الكلام، وهذا بالإضافة إلى علوم اللغة والبلاغة، فكان درسه للحديث الشريف درساً في كل هذه العلوم التي كان يدرِّسها في ضوء معارف النبوة، وكان يوجِّه تلامذته توجيهاً تطبيقيًّا جامعاً يمثل مزايا الإمام الدهلوي وتلامذته في التطبيق بين المذاهب الفقهية، والتنسيق بين المدارس الفكرية والتربوية في شبه القارة.

إن الإمام محمد أنور شاه الكشميري كان محدثاً ناقداً، ومفسراً بصيراً، وفقيهاً جهبذاً، ومتكلماً متعمقاً في وقت واحد، وكانت له نظرات ثاقبة في كل واحدة من هذه المعارف الإسلامية، وكانت آراؤه في بعض المسائل الكلامية تمتاز بالبراعة والأصالة، وتدل على بعد نظره، وعمق فكره في قضايا العقيدة والكلام.

وكان المفكر الإسلامي المعروف العلَّامة محمد إقبال معجباً بشخصيته، ويرى أنه لا يوجد له مثيل في عمق تفكيره وسعة أفقه وبراعة آرائه في عديد من قضايا الفكر والعقيدة والمعارف الفلسفية، وكانت بينهما مناقشات ومدارسات في عديد من هذه القضايا.

إنَّ الإمام المحدِّث الفقيه المتكلم أنور شاه الكشميري لم يكن يهتم بالعمل التأليفي اهتماماً كبيراً، فكانت علومه ومعارفه التي وصلت إلينا إنما قام بتدوينها بعض تلامذته في صورة أمالٍ جمعوها خلال تدريسه

لكتب الحديث، فجمع تلميذه (الشيخ بدر عالم) أماليه المستمدة من دروسه على «صحيح البخاري»، وقام بعض تلامذته بجمع نبذة من أماليه على «جامع الترمذي»، منهم أستاذنا العلَّامة المحدِّث الجليل الشيخ محمد يوسف البنوري الذي كان يهتم بجمع أماليه على «جامع الترمذي»، فبدأ يدوِّنها في كتاب جامع باسم «معارف السنن» ولكنه لم يتمكن من إكماله، فألفه إلى أبواب الجنائز. وهناك محاولات أخرى قام بها تلامذته، ولكن كلها غيض من فيض من علومه وقطرات من بحار معارفه المتدفقة.

وبالإضافة إلى هذه الأمالي المدوَّنة ترك الإمام الكشميري لمن بعده مجموعة من رسائله المتعددة في موضوعات العقيدة والفقه والحديث، وكان يخاطب في هذه الرسائل العلماء الكبار ذوي الفضل الكبير والمستوى العالي في العلوم والمعارف، ولم يكن يخاطب عامة الناس، ولذلك لم يؤلِّف شيئاً في اللغة الأردية التي هي لغة الثقافة ولغة الشعب في جنوب آسيا، فلذلك تمتاز كتاباته بإيجاز شديد، تشبه أحياناً المتون القديمة؛ فيكتفي أحياناً بإشارات إلى مباحث مطولة دون أن يفصلها، أو يأتي بأمثلة كثيرة على ما يدليه من المباحث.

إن الرسائل التي ألفها الإمام الكشميري كثيرة، وطبعت عدة مرات طبعات حجرية قديمة، وطبعات غير محققة، فبقيت منعزلة في أوساط تلامذته وتلامذة تلامذتهم، ولم تنتشر كثيراً في العالم العربي.

وكانت هذه الثروة العلمية تنتظر من يخدمها ويخرجها إلى النور في ثوب علمي رشيق، فكتب الله سبحانه وتعالى هذا الفضل لأخينا الفاضل الأستاذ محمد رحمة الله حافظ الندوي أن يختار من بين رسائل الإمام

الكشميري هذه الرسائل الثلاث: ويقوم بتحقيقها تحقيقاً علميًّا متيناً، وأن يقوم بخدمتها خدمة تستحقها هذه الرسائل.

وقد سبق أن صدرت كتب متعددة بقلم المحقق الفاضل الذي خدم عدداً من الكتب العلمية التي جادت بها قرائح علماء شبه القارة، وها هو الآن يقدم إلى العالم العربي ولعلماء العالم الإسلامي هذه الهدية القيِّمة، وهي نماذج من كتابات الإمام الكشميري، وتمثل نبذة من تحقيقاته، فهو يتجلى فيها محدثاً فقيهاً ومتكلماً.

نشكر الأستاذ المحقق على تقديمه هذه الهدية القيمة للعالم العربي، وندعو الله تعالى أن يجعلها في ميزان حسناته يوم القيامة، وأن يبارك في علمه وعمره وجهوده.

د. محمود أحمد غازي
العميد المشارك (للشؤون العلمية)
كلية الدراسات الإسلامية مؤسسة قطر الدوحة
الرئيس السابق للجامعة الإسلامية العالمية
إسلام آباد باكستان
وزير الأوقاف السابق لباكستان